# ضرورة الثورة في التاريخ

د. منى يوسف(*)

## مقدمة

يتسع مجال دراسة التاريخ فيشمل الزمن كله، ما مضى منه، وما هو حاضر، وما هو مقبل. كذلك يتسع موضوع التاريخ ويزداد عمقه حتى أصبح يشمل التجربة الإنسانية كلها. فلم يعد يقتصر على ذكر الأحداث السياسية والعسكرية فقط، بل يشمل أيضًا التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، والعلمية، والفنية، والأخلاقية. لذلك فإن دراسة التاريخ تعد دراسة معقدة متشعبة متعددة المناحي والاهتمامات. ليصبح التاريخ هو دراسة التجربة الإنسانية على وجه الأرض، منذ ظهور الإنسان على هذا الكون إلى يومنا هذا.

وإذا كان المؤرخ يهتم بتدوين أحداث التاريخ. وتختلف أساليب التدوين من مؤرخ لآخر ومن زمن لآخر، ويدون أحيانًا من وجهة نظر المؤرخ. فإن فلاسفة التاريخ لم يهتموا بالتدوين في حد ذاته ولكنهم اهتموا بتفسير هذه الأحداث ومحاولة التعرف على قوانين سير حركة التاريخ. لذلك تختلف تفسيرات وقوانين سير حركة التاريخ من فيلسوف لآخر.

رأى أفلاطون أن التاريخ يسير في دوائر مغلقة تبدأ كل دورة وتنتهي لتبدأ دورة أخرى غير متصلين ببعضهم البعض. ورأى كل من ابن خلدون وفيكو أن مسار التاريخ كعجلة دائرة تخضع للحتمية إذ تتعاقب الحضارات على الدول تعاقبًا دوريًا بين نشأة وازدهار وانحطاط، ورأى رجال الدين في التاريخ فظهر العناية الإلهية وتعبيرًا عن تخطيط إلهي محكم. وهذا ما يميز نظرة العصور الوسطى للتاريخ خاصة الفكر المسيحي. أما مفكرو عصر التنوير فقد رأوا أن التاريخ هو أثر الفعل الإنساني على الأرض وتحمسوا لعصرهم

(*) خبير أول بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، مصر.

فجعلوا مسار التاريخ يسير قدمًا إلى الأمام، وهذه هي نظرية التقدم، ثم جاءت نظرية كانط Kant في التاريخ العالمي مزيجًا من التخطيط الإلهي والفعل الإنساني: ظاهره أفعال الإنسان العشوائية، وباطنه تدبير محكم وتخطيط مرسوم.

وقد تعددت أبعاد تفسير حركة التاريخ بتعدد رؤى بعض الفلاسفة إختلفوا أحيانًا واتفقوا أحيانًا أخرى، فمن رأى أن له بعدًا ميتافيزيقيًا حيث يمثل رحلة الروح في الزمان مثل هيجل وذلك اتساقًا مع سائد فلسفته. ومن رأى أن لها بعدًا بيلوجيًا حيث شبهها بحياة الإنسان من طفولة وشباب ورجولة وكهولة مثل هردر وغيره من فلاسفة التاريخ. ومنهم من رأى أنها ثقافات منفصلة أو حضارات منفصلة مثل اشبنجلر. أما توينبي فقد قدم دراسة عميقة خصبة لجميع الحضارات التي تناولت تاريخ الإنسانية فجاء تفسيره حضاريًا ذا طابع ديني.

هذه بعض الأفكار الهامة والبارزة في تفسير حركة التاريخ. وتقدم هذه الدراسة عرضًا لبعض هذه الآراء بالتفصيل لمحاولة الإجابة عن سؤال رئيس وهو هل يحتاج التاريخ في تقدمه وتطوره إلى حدوث ثورة أو ثورات حتى يسير التاريخ؟ أم أن هذه الثورة أو الثورات تكون محايثة لسير التاريخ وتأتي بشكل غير مفاجيء ولكنه ضروري لسير حركة التاريخ إلى الأمام؟

وقبل أن نقوم بعرض هذه الآراء نقدم بعض المفاهيم المستخدمة في هذه الدراسة حتى لا نقع في لبس تعدد المفاهيم للمصطلح الواحد، الذي يمكن فهمه بطرق مختلفة بإختلاف طريقة التناول.

## أولًا: مفاهيم الدراسة

### ١. مفهوم الضرورة:

هي كما جاءت في المعجم الفلسفي Néeessité- Necessity أن هناك ضرورة منطقية يقتضيها مبدأ عدم التناقض، وضرورة تجريبية، أو ضرورة الأمر الواقع وهي ما يستحيل عدم حصوله إذا ما توفرت شروطه وظروفه. والضرورة الأخلاقية هي ضرورة نظام مثالي لما ينبغي أن يكون.

والضروري Nécessaire- Necessary هو ما لا يمكن إلا أن يكون بخلاف ما هو عليه، ويسمى الواجب ما يمتنع عدمه. والحقيقة الضرورية هي التي تفرض نفسها على الذهن بحيث لا يمكن نقضها. والكائن الضروري هو الأول بذاته، فذاته سبب وجوده. وفي المعجم الوسيط (الضرورة): الحاجة و- الشدة لا مدفع له و(الضروري) كل ما تمسُ إليه الحاجة- وكل ما ليس منه بد. والضرورة المقصودة هنا هي الأحداث والأفعال التي لا بد من حدوثها.

**٢. مفهوم الثورة:**

في مسار التاريخ الغنساني لإنها واجبة الحدوث وفقًا لتتابع الأحداث[١]. يشكل مفهوم الثورة أحد المفاهيم الذي نجد له العدد من التعريفات التي تتعدد والعلوم التي تتناوله. وهو كما جاء في المعجم الفلسفي Revolution -Révolution، تغير جوهري في أوضاع المجتمع لا تتبع فيه طرق دستورية، هدفها تغيير النظام السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، وهي قابلة للتطور فهي سريعة وهو بطيء، وهي تحول فجائي، وهي تبدل تدريجي[٢]. وهي نقطة تحول في حياة المجتمع لقلب النظام البالي و إحلال نظام تقدمي جديد محله، وهي بهذا تتميز عن الانقلاب الذي يتلخص في نقل السلطة من يد ليد[٣]. ويستخدم مصطلح الثورة للإشارة إلى التغيرات الجذرية المفاجئة التي تحدث في الظروف الاجتماعية والسياسية، وبخاصة حينما يتغير فيها نظام حكومي أو سياسي معين، ويحل محله نظام آخر، ويستخدم المصطلح أيضًا للإشارة إلى التغيرات الجذرية التي تحدث في مجالات غير سياسية. كالثورة العلمية، والثورة الثقافية، والثورة العملية،... إلخ.

هناك تفسيرات متعدد للثورة، فالتفسير الذي ساد القرن التاسع عشر، هو الذي طوره الماركسيون والمفكرون اليساريون، ووفقًا لهذا التفسير تصبح الثورات السياسية والاجتماعية الكبرى هي الوسائل الضرورية لتحقيق تقدم الإنسانية نحو مجتمع تسوده

(١) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧١، صـ١٠٩.
(٢) المرجع السابق، صـ٣٨١.
(٣) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة لشئون المطابع الأميرية، جمهورية مصر العربية، ١٩٨٣، صـ٥٨.

الحرية والعدالة، والحكم الذاتي، والمساواة، والانسجام الاجتماعي. وفي مقابل هذا الاتجاه هناك اتجاه آخر محافظ يمثله مفكرون من أمثال نيتشه Nietzsche ولوبون Lebon ويرون أن الثورات تعبير عن عواطف جامحة غير رشيدة تحطم النظم القائمة ويستندون إلى تفسيرات سيكولوجية.

أما أصحاب الاتجاهات العلمية السوسيولوجية والوضعيون، فيعتبرون مصطلح الثورة مصطلحًا وضعيًا وليس له دلالة قيمية؛ فكافة التغيرات الجذرية التي تحدث للنظام السياسي أو الحكومي في المجتمع هي ثورات إلى المدى الذي تستند فيه هذه التغيرات إلى قاعدة شعبية عريقة[١].

في معجم العلوم الاجتماعية، الثورة الحقيقية هي التي تنبعث من الشعب، وتعبر عن ميوله ورغباته وإن دبرها قادة وأشخاص معينون. ويقال ثورة صناعية أو زراعية؛ لأنها أحدثت تغييرًا كبيرًا ومفاجئًا في الأوضاع الصناعية أو الزراعية أو غيرها. والثورات أنواع: سياسية تنشد الحرية، واجتماعية تنادي بالمساواة، وقد تهدف للجانبين معًا وترى أن المساواة السياسية لابد أن تقوم على أساس من المساواة الاقتصادية.

قد قدم أرسطو تفسيرًا موضوعيًا للثورة، وردها إلى نوعين: ثورة تنشد المساواة وأخرى تنادي بعدم المساواة. ويرى بعض المفكرون أن الثورة وسيلة ناجعة من وسائل التقدم وضرب من حتمية التاريخ التي تحقق الحرية والعدالة والمساواة، وصورة من حق التطور الإنساني برغم ما قد يصاحبها من عنف[٢].

نلاحظ أن معظم هذه التعريفات قد تناولت الثورة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، في حين أن الثورة وجدت في كل العلوم تقريبًا سواء العلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية. ففي مجال العلم الطبيعي تظهر الثورة جلية في التطور العلمي المستمر الذي لم يتوقف منذ بدأ الإنسان يعمر الأرض وحتى وقتنا الحاضر. حتى في الدين كان هناك تغيرات متعددة فمن عبادة الآلهة إلى عبادة الإله الواحد.

---

(١) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩، صـ٣٨٧.

(٢) إبراهيم مدكور وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥، صـ ٢٠٥.

ونعود إلى السؤال الأساسي لهذه الدراسة وهو كيف وجدت الثورة في مسار التاريخ؟ وللإجابة على هذا السؤال نستعرض نظريات بعض الفلاسفة في كيفية سير حركة التاريخ. ونكتفي هنا بعرض أراء بعض الفلاسفة المحدثين.

## ثانيًا: مسار التاريخ

كان فلاسفة التنوير قد جاءوا بنظرة مختلفة حيث أعطوا للعقل أهمية كبرى منذ أثبت ديكارت الوجود عن طريق الفكر، فقد كان ذلك بمثابة الانطلاق لاتخاذ الفكر كمنهج لمعرفة العالم كله. وبذلك تحررت نظرة المؤرخ من التعصب الديني والقومي ليتسع أفق الرؤية للتاريخ فيشمل تاريخ العالم كله القديم والحديث والشعوب جميعها، حيث تحول الاهتمام من التأريخ للملوك إلى التأريخ للحضارات الإنسانية الذي هو في جوهره تاريخ لتطور الفكر وعمل العقل البشري.

### ١. فيكو Giam Battista Vico:

يعتبر فيكو لدى الكثير من الباحثين أول من أرسى قواعد فلسفة التاريخ في العصر الحديث، وسوف نعرض هنا فقط لرأيه في كيفية سير حركة التاريخ حيث يرى أن التاريخ يسير في خط دائري، ويستند إلى نظرية التعاقب الدوري للحضارات، وتطور الإنسانية لديه هو مجموع تطور الشعوب التي تتقدم من حالة إلى أخرى، ويتم هذا التطور على ثلاثة مراحل:

١. المرحلة الدينية: حيث كانت الشعوب الأممية تعيش في ظل حكومات تشرع قوانينها بما يعتقد أنه مشيئة الآلهة، وذلك عن طريق الكهان.

٢. المرحلة البطولية: وهي مرحلة أنصاف الآلهة وأنصاف البشر، حيث يكون الحكم بيد أبطال أشداء محاربين، وتسود الارستقراطية نظم الحكم، وفي هذا الدور نشأت الفروسية والحروب الصليبية.

٣. المرحلة الإنسانية: حيث الاعتراف بالمساواة بين البشر وظهور الأنظمة الديمقراطية وهي مرحلة الحرية المدنية والسياسية.

وبعد بلوغ المرحلة الأخيرة للذروة تبدأ في الانهيار لتعود من جديد المراحل في دورة أخرى، ولكن مع الاستفادة من تجارب الدورة السابقة، ولهذا فإن الخط الدائري لدى فيكو خط دائري صاعد، أي خط حلزوني[١].

**٢. فولتير François Marie Arouel De Voltaire:**

هو من أكبر فلاسفة حركة التنوير، اهتم بالتأريخ للحضارات بدلًا من الملوك والقواد، ذلك لأنه يرى أن أخبار السياسة والحرب لا تفصح عن العقل الإنساني خلال عصور التاريخ. وهو يرى أن التاريخ يسير في خط مستقيم متقدم دائمًا إلى الأمام، فالإنسانية دائمًا في حالة تقدم، وتمر بمرحلتين: مرحلة الفطرة الخالصة التي يعيش فيها الإنسان طبقًا لقانون الفطرة، ومرحلة المدنية حيث يعيش الإنسان طبقًا للقوانين والنظم التي يصنعها لنفسه، ويرى أنه تحدث بعض الانحرافات في مسار الإنسان، ولكنه دائمًا قادر على التغلب عليها ليسير إلى الأمام دائمًا في حالة تقدم. ولذلك انتقد فولتير مفهوم العناية الإلهية جدليًا لاستبعاده كأساس لتحديد مسار التاريخ دائمًا يسير بمقتضى العقل البشري نحو الأفضل والأحسن[٢].

**٣. كندرسيه Marquis de Marie Jean Antoine de Condorcet:**

يمثل كندرسيه نموذجًا آخر من المفكرين المعتنقين لنظرية التقدم، ويقدم لوحة تاريخية لتقدم العقل البشري. تكشف هذه اللوحة عن أن الإنسانية قد تطور خلال عصور التاريخ على النحو التالي:

المرحلة الأولى: حيث اجتمع الأفراد على هيئة عشيرة، وصنع الإنسان أسلحته، وكان رؤساء العشائر يحددون التنظيم الاجتماعي والسياسي والأخلاقي، وفي هذه المرحلة تكونت لدى الإنسان مفاهيم بدائية عن الكون.

---

(١) أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٥، صـ١٥٣: ١٦٥.

(٢) المرجع السابق نفسه، صـ١٨٠: ١٨٥. وانظر كذلك «الحضارة»، حسين مؤنس، عالم المعرفة، المجلس الأعلى الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨. صـ٣٠٥: ٣١٣.

المرحلة الثانية: عصر الأقوام الرعاة، حيث استأنس الحيوان لتحسين طرق معيشته، وقد ظهرت بعض الحرف كصناعة النسيج، وعرف الإنسان طريقة المقايضة وتزايد سلطان السحرة بسلطة دينية وأصبحت لهم امتيازات.

المرحلة الثالثة: عصر الزراعة واختراع الكتابة، وقد استخدم الإنسان الحيوان في الزراعة وابتكر بعض الأدوات. ونظرًا لتعلق المزارعين بالأرض فقد خضعوا أحيانًا للغزاة، فنشأ الرق، وتكون النظام الإقطاعي من نبلاء يرثون الأرض ورفيق يعمل فيها تحت إمرة النبلاء.

المرحلة الرابعة: حيث بدأ التدوين وتقسيم العلوم. وبذلك تعد هذه المرحلة الخطوة الأولى في تقدم الفكر البشري، تلقى اليونانيون تراثًا واسعًا وفنونًا عديدة ومعارف علمية ومعتقدات دينية من الشرق، ولأن هذه المعارف لم تكن محتكرة لطبقة الكهان مثل الشرق، نشأ الفكر حرًا. وكان لهذا العصر إسهامات جوهرية تمثلت في علوم رياضية منظمة وعلوم سياسية. كما ازدهر الأدب والمسرح والفنون الجميلة.

المرحلة الخامسة: وهى تمثل عصر تقدم العلوم، وتبدأ هذه الفترة بأرسطو الذي طبق المنهج الفلسفي على الخطابة والشعر، كما استقلت أيضًا بعض العلوم كالرياضيات والطب. وبخضوع اليونان للدولة الرومانية، أمام بعض العلماء في مدينة الأسكندرية، ومع مجيء المسيحية وانتشارها تدهورت العلوم والفلسفة حيث لم تكن وسائل انتشار الثقافة ميسرة.

المرحلة السادسة: مرحلة بعث العلوم بعد انحطاطها وانتشار الجهل، ووقوع الشعوب فريسة لاضطهاد ثلاثي من الملوك والقادة العسكريون والكهنة. أما في الشرق فمنذ حمل المسلمون تراث اليونان وتقدمت بعض العلوم.

المرحلة السابعة: وفيها اخترعت الطباعة، وبدأ النفور من رجال الدين، وتحررت بعض المدن، وبدأت الحروب الصليبية التى رغم كثرة مساوئها إلا أنها جعلت المسيحيين فيها يحتكون بالعالم الشرقي وحضاراته وعلومه ويستفيدون منها. كما نشأت أيضًا في هذه المرحلة «الجامعات» التي أصبحت مراكز للفكر. فظهرت عدة اختراعات مفيدة

كالطواحين الهوائية وأدوات قياس الزمن والبوصلة ومعامل الورق... إلخ من المخترعات المفيدة وغير المفيدة كالبارود.

**المرحلة الثامنة:** وفي هذه المرحلة كانت هناك ثلاثة وقائع مهمة هي: احتلال المسلمين للقسطنطينية، وانتشار الطباعة، واكتشاف العالم الجديد. كما كان هناك الإصلاح الديني بقيام الكنيسة البروتستانتية، وانتشار الفكر الحر فظهرت أفكار صنوف الشعب وتقييد حرية الملك، كما ظهرت في العلوم مناهج جديدة.

**المرحلة التاسعة:** بظهور بيكون وجاليليو وديكارت. بيكون بمنهجه التجريبي لدراسة الطبيعة، وجاليليو بالثورة التي أحدثها في علم الفلك، وديكارت بمنهجه الرياضي واستخدام العقل في إثبات الوجود.

استمر التقدم في العلوم خلال القرن السابع عشر حتى إذا جاء القرن الثامن عشر تمثل التقدم في شخصيات مثل فولتير ومونتسكيو وغيرهم، وقامت الثورتين الفرنسية والأمريكية فانتشرت أفكار الحرية والمساواة. ويرى كندرسية أن سير الإنسانية للأمام لن يتوقف لتسود أفكار المساواة والحرية والعدالة في توزيع الثروة وصيانة الكرامة الإنسانية[1].

**٤. هردر Johann Gottfried Von Herder:**

إن التاريخ الإنساني عن هردر لا ينفصل عن تاريخ الطبيعة، أي أن له قانون تطوره الذي يمكن أن نكتشفه، وهو قانون يطبق على كل الشعوب وليس شعب واحد، ويقوم هذا القانون على ثلاثة أفكار رئيسية هي: التواصل والاستمرارية Continuite والغائية Finalite والعود الأبدي Le Retour Etrene. ويمر التاريخ بأربع مراحل تماثل مراحل عمر الإنسان وهي: الطفولة، والشباب، الرجولة، والشيخوخة، وترعاها العناية الإلهية التي تقود كل الأشياء، وتحكم تتابع الأجيال منذ آدم وحتى نهاية الزمان.

يأخذ سير التاريخ عند هردر شكل الحلزون، أي أنه بالرغم من وجود فقرات الانهيار في التاريخ إلا أن البداية التالية على هذا الانهيار تكون دائمًا من نقطة متقدمة عن البداية

(1) Condorcet, Essai sur l'application de l'analyse á la probabilité ides decisions Rendues á la pluralité des Voix, Esquisse d'un Lableau Historique des Progres de L'esprit humain 1795.

السابقة، فالحضارات تستفيد من بعضها البعض. وتمر كل حضارة من الحضارات بالأدوار الأربعة من طفولة وشباب ورجولة وكهولة، كما أن هذه الحضارة نفسها تمثل دورًا من الأدوار بالنسبة لتاريخ البشرية ككل، ولنأخذ مثلًا على ذلك الحضارة المصرية القديمة فقد مرت هذه الحضارة بالمراحل الأربعة حيث كان لها فترة طفولتها أو بدايتها ثم فترة شبابها أو إبداعاتها ثم ازدهارها أي رجولته ثم كهولتها أو انهيارها على يد الحضارة الإغريقية. وفي الوقت نفسه هي عند هردر تمثل شباب الدورة الأولى من دورات الحضارة الإنسانية التي يدين بها الاغريق بالكثير. ولأن التاريخ يتقدم والشعوب تلعب أدوارها في هذا التقدم لذلك تتغير صفات الشعوب مما يجعل من الخطأ إضفاء صفة واحدة على كل شعب من الشعوب لا تتغير أبدًا.

ويتضح من توالي دورات التاريخ التي تزدهر وتضمحل أن روح الشعب لا تبقى على حالة واحدة دائمًا وإنما هي في حالة تغير مستمر، كما أن التطور يساهم في استبدال صفات بصفات أخرى تكون لازمة أو ناتجة عن هذا التغيير، والحقيقة أنه لا يمكن أن يوجد شعب يمكن نعته بصفة واحدة تلتصق به من بدأ وتستمر معه رغم التطور، لأنه لو كان الأمر كذلك لما كان هناك تاريخ، فالتاريخ تطور ونمو، والنمو حركة، والحركة تحدث التغير المستمر الذي يجعل التاريخ أشبه بالتيار الصاعد ذو الحركة الدائبة التي لا ينتظر منها دائمًا تقدم لأنها أحيانًا قد تخطيء المسار فتحدث عثرات التاريخ.

وتطبيقًا لكلام هردر حول المراحل الأربع التي تمر بها دورة التاريخ نجده يبدأ بالدورة الأولى، يرى أن الشعوب البدائية الأولى فيما عدا شعب مصر والصين قد لعبت دور الطفولة. بينما لعب شعبا مصر والصين إلى جانب الحضارات الشرقية القديمة دور الشباب، أم اليونان فقد لعبت دور الرجولة فهي حضارة الفكر، بينما كانت حضارة مصر عمل واقتراب أكثر من الواقع الملموس والمعاش حيث برعت هذه الحضارة ومن عاصرها من حضارات أخرى في علوم الطب والكيمياء والهندسة... إلخ. من علوم الحياة بينما برعت حضارة اليونان في الفلسفة والرياضة وغيرها من العلوم النظرية، وتأتي نهاية الدورة الأولى بالانهيار في نهاية الامبراطورية الرومانية التي بدأت بالحروب والغزوات وانتهت بالاغريق في الانغماس في الترف والملذات مما أدى إلى انهيار حضارتهم.

ثم تبدأ دورة ثانية في أوربا، يمثل عهد الطفولة فيها الشعب الألماني في مرحلة الغزوات البربرية التي بدلت رذائل الرومان بفضائل المحبة والقوة والشجاعة. ثم يبدأ الشباب في العصور الوسطى حيث الإقطاع الزراعي والحروب ودخول الغزاة في الدين المسيحي حيث اتخذ الصليب فظهر السيف، وفي هذا العهد تحورت وظيفة الكنيسة حيث أصبحت لها سلطة مدنية بجانب السلطة الدينية. والشعب الألماني هو محور هذه الدورة أيضًا.

أما الرجولة فتأتي بفترة الإصلاح الديني، بازدهار الفنون والآداب وانفصال الدولة عن الكنيسة بثورة «مارتن لوثر كنج» على الكنيسة ومحاولة إصلاحها وظهور البروتستانتية، وأخيرًا يأتي عهد الشيخوخة في القرن الثامن عشر حيث تفككت روح الشعب وتغلبت المادية وظهر الاستعمار والرق للشعوب المستعمرة في أفريقيا وأمريكا[1].

ويلاحظ أن هردر حصر الدورة الثانية بمراحلها الأربع في أوربا، وهو على عكس فلاسفة التنوير الذين رأوا في القرن الثامن عشر قمة التطور والرقي، يرى فيه هردر انهيار الدورة الثانية. لم يبدأ هردر في عرض الدورة الثالثة لأنه لم يكن يعلم من أين يبدأ بعد ذلك، ويبدو أنه كان متأثرًا بحالة الانهيار التي كانت توجد في عصره.

الملاحظ أيضًا أن هردر لم يذكر دور الحضارة العربية الإسلامية وموقعها من هذه المراحل بالرغم من أنه في كتابه «أفكار في فلسفة تاريخ الإنسانية» وبالتحديد في الفصلين الرابع والخامس من الكتاب التاسع عشر، يذكر فضل هذه الحضارة في مجالات العلوم المختلفة موضحًا أن الغرب استفاد من هذه الحضارة.

وتتميز نظرة هردر لمسار التاريخ بعدد من السمات، السمة الأولى: أن الوشائج بين الحضارات السابقة والتالية ليست ضرورة حتمية، فالأحداث كان يمكن أن تكون على غير ما أصبحت عليه، وهذه الطريقة في النظرة إلى التاريخ تسمى بالطريقة اللازمانية، وتتلخص في أن الأحداث لو كانت قد جرت عليه لكان التاريخ على غير ما هو عليه بالفعل. والسمة الثانية هي أنه ليس بإمكان الإنسان إدراك المراحل التاريخية المقبلة، فهذا لا يتيسر إلا لله

(1) Herder, Idees Pour La Philosophie de l'histoire de Humanite, Introduction, Traduction, Notes par Max Rouche, Aubire, Editions Montaigne Paris, 1962.

الذي يسميه هردر «بالعقل العظيم» فإذا كان من الممكن وضع كل مرحلة تاريخية حدثت في مكان في السلسلة التاريخية، إلا أن الاعتقاد في تحديد المراحل المقبلة ليس إلا وهمًا ناتجًا عن اعتقاد الإنسان أنه هو المحور، بينما مسرحية التاريخ تفوقه تمامًا فهى ملحمة ربانية تخللت كل القرون والقارات والأجيال صممها «العقل العظيم»، ومهما بلغت عظمة العمل الإنساني فهو لا يعدو أن يكون تصويرًا ممثلًا لملحمة التاريخ الربانية.

**٥. هيجل (Hegel (Geroge Wilhem Friedrick:**

يشبه هيجل مسار التاريخ العالمي بحركة الشمس، التي تشرق من الشرق وتغرب في الغرب. والشمس تكون في بداية شروقها متوهجة الضوء باهرة، لذلك فإن أول شعور للإنسان هو نسيانه لشخصيته الفردية في هذا الشتاء الرائع المطلق، أعنى الدهشة التامة. لكن عندما ترتفع الشمس تقل هذه الدهشة إذ يدرك الأشياء المحيطة به، ومنها ينتقل الفرد إلى تأمل أعماق وجوده الداخلي، وبذلك يحدث التقدم نحو إدراك العلاقة بينهما، ومن ثم فإن الإنسان ينتقل من التأمل الساكن الخامل إلى النشاط الإيجابي، وعند نهاية النهار يكون الإنسان قد شيد بناء أسسه من أعماق شمسه الخارجية الأصلية؛ لأنه الآن يجد نفسه في علاقة واعية مع روحه، وهى لهذا السبب علاقة حرة.[1] ومسار التاريخ العالمي هو الروح في محاولة وصولها إلى الحرية الكاملة، ويرى هيجل أن العالم في بدايته في الشرق لم يعرف أن كل الناس أحرار، بل عرف أن شخص واحد حرًا هو الملك، ثم تطورت المعرفة بالحرية ليعرف الإنسان في الحضارة اليونانية أن بعض الناس أحرارًا والآخرين عبيد، والحر هو المواطن اليوناني أما العبيد فهم أسرى الحروب من الشعوب الأخرى، أما الأمة الجرمانية فقد كانت أولى الأمم التي تصل إلى الوعى بأن الإنسان مخلوق حر، وأن الحرية تؤلف ماهية الروح. ويشبه هيجل مراحل تطور التاريخ بمراحل نمو الإنسان، تبدأ بالطفولة وتنتهى بالشيخوخة، وطفولة التاريخ هى الحضارات الشرقية حيث «نجد في الحياة السياسية في الشرق حرية عقلية متحققة تعمل على تطوير نفسها دون أن تصل إلى مرتبة الحرية الذاتية».

---

(١) هيجل، محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، الجزء الثاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦، صـ٣٥، صـ٢٣١.

أما مرحلة الصبا في التاريخ فنجدها في العالم اليوناني والتي يسميها هيجل بمرحلة المراهقة، ذلك لأننا نجد فرديات تتشكل.. وهنا نرى وحدة بين الأخلاق والإرادة الذاتية، أو مملكة الحرية الجميلة، لأن الفكرة قد اتحدت بصورة تشكيلية، فالفكرة لا ينظر إليها هنا بطريقة تجريدية، وإنما هي ترتبط مباشرة بالواقعي[١].

المرحلة الثالثة هي مرحلة الرجولة ونجدها في الحضارة الرومانية، وهي مملكة الكلية المجردة حيث تستوعب فيها الغاية الاجتماعية كل الغايات الفردية، بحيث لا يتحقق هدف الفرد إلا في الهدف العام.

ويمثل العالم الجرماني المرحلة الرابعة من مراحل التاريخ، وهي تقابل مرحلة الشيخوخة عند الإنسان ولكن «إذا كانت الشيخوخة في الطبيعة تعني الضعف والهرم، فإن شيخوخة الروح تعني نضجها وقوتها الكاملة التي تعود فيها إلى الوحدة مع نفسها، لكنها في طابعها مكتملة النمو بوصفها روحًا»[٢].

يرى هيجل أن التاريخ يسير في خط حلزوني صاعد، وهذا يعني أن هناك صعودًا وهبوطًا في التاريخ، والصعود تمثله كل حضارة جديدة، تبدأ وتظل تنمو حتى تستنفذ كل قوى التقدم بها، فتشيخ وتنهار، وهنا تظهر حالة الهبوط، ثم تبدأ حضارة أخرى في الصعود وهكذا. والخط الحلزوني الصاعد هذا دليل على تقدم التاريخ إلى الأمام، وذلك رغم النكوص الذي يصيب الحضارات منفردة، وذلك لأن الحضارة الجديدة لا تبدأ من نفس نقطة البداية - كدوائر أفلاطون المغلقة - ولكنها تبدأ من نقطة متقدمة عن الحضارة السابقة عليها، وهذا ما يحدث التقدم في مسار التاريخ العالمي.

التاريخ إذًا هو حركة الروح في محاولتها للوصول إلى المطلق، ووسيلتها في ذلك هو العقل، فمسار الروح في رحلتها للوصول إلى الحرية الكاملة، وكل أمة من الأمم حقبة تسيطر فيها على تاريخ العالم «وهي لا تستطيع أن تصل إلى لحظة تألقها وازدهارها سوى مرة واحدة فقط»[٣].

---

(١) المرجع السابق نفسه، صـ٢٢٣.

(٢) المرجع السابق نفسه، صـ٢٢٨: ٢٣٩.

(٣) هيجل، أصول فلسفة الحق، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦، صـ٦٠٢.

أما عن الوسائل التي تستخدمها الروح للوصول إلى الحرية المطلقة فهى الأفراد، لأنهم في محاولتهم تحقيق مصالحهم الجزئية الخاصة، فإنهم يحققون في الوقت ذاته نمو الروح حتى تصل إلى غايتها النهائية. ولكل شعب روحه الخاصة، وهى روح جزئية، تتشكل وفقًا لدرجة طوره التاريخي وهى جزء من روح العالم.

هذه الروح القومية الجزئية ينبغي أن تعامل على أنها فرد فحسب في مسار التاريخ الكلي؛ لأن التاريخ معرض «التطور الإلهي» المطلق للروح في أعلى صورها، ذلك التقدم التدريجي الذي تبلغ بواسطته حقيقتها ووعيها بذاتها، والصورة التي تتخذها مراحل التقدم هذه هى الأرواح القومية المميزة في التاريخ، والتاريخ الكلي يبين أن الروح تصل تدريجيًا إلى التعرف على الحقيقة، والأخذ بها، وهكذا حتى تصل إلى الوعي الكامل، والشكل الذي يتخذه التحقق الكامل للروح الدولة.

بهذا يتضح أن التاريخ الكلي - تاريخ العالم - هو سلسلة متصلة من الوقائع، التي تحاول فيها الروح أن تصل إلى كمالها، وهى سائرة بين الشعوب والأمم في الأزمنة المختلفة، تصل في كل مرحلة من المراحل إلى التعرف على جزء من نفسها، وتحقيق جزء من حريتها حتى تصل في نهاية التاريخ إلى الحرية المطلقة.

### ٦. شبنجلر Oswapd Spengler[1]:

لا يشكل التاريخ عند شبنجلر تيار منفصل بل أن التاريخ عنده هو مجموعة من الثقافات لكل منها طابعها الخاص بها. والروح الأول أو العامل الحيوي هى روح خاصة بكل ثقافة على حدة، والتاريخ يتألف من عدة ثقافات جبارة، فبدت كل ثقافة منها بقوة بدائية من تربة الإقليم الأم، حيث تبقى مشدودة إليه برسوخ وثبات طيلة دورة حياتها، وتطبع كل واحدة منها مادتها وجنسها البشري وصورتها الخاصة بطابعها، ولكل واحدة منها فكرتها وعواطفها، وإرادتها، وشعورها، وموتها الخاص. أي أن لكل منها إمكاناتها الجديدة الخاصة بها للتعبير عن ذاتها، هذا التعبير الذي ينشأ وينضج ويدخل ولا يعود أبدًا.

(1) Oswold, Spenglar , le deceline de Loccident, Tradut par M.Tazerou. Librairie Gollimard, Paris, 1948

والثقافة الوليدة لا تختلف عن النبات في شيء، فهي ليست محددة فقط بزمن معين تنمو فيه، وتزدهر وتخرج كل عصارتها، وتبلغ أوج اكتمالها ثم تبدأ في الذبول والانهيار، ولكنها أيضًا لها مكانها المحدود الذي لا تستطيع أن تتجاوزه، فهي تزدهر في رقعة معينة من الأرض، كظل ملتصقة بها وتحقق فيها كل ألوان إبداعاتها الخاصة، من علوم، وفنون، وآداب، ومنشآت، وقوانين، وقيم، وحينما تذبل وتنهار فإنها تنهار أيضًا في نفس هذا المكان المحدد لها. فهي محكومة إذًا بعاملي الزمان والمكان إذا لم يدرس شبنجلر التاريخ بوصفه كل متكامل كما فعل غيره من فلاسفة التاريخ، ولكنه فكك التاريخ وحوله إلى مجموعة من الثقافات ظهرت متعاقبة من حيث الزمن.

يرى شبنجلر أن كل حضارة تمر بنفس المراحل التي يمر بها الإنسان من طفولة وشباب ورجولة وكهولة، ولكنه يرى أن هذه المراحل متمثلة في الحضارة الواحدة وليس كما رأى غيره من فلاسفة التاريخ أنه يمكن لكل حضارة أن تمثل مرحلة من هذه المراحل. ولهذا بما أن كل حضارة تمر بنفس المراحل لذلك يمكن معرفة أين تقع الحضارة الغربية من هذه الأدوار ويمكن التنبؤ بمستقبلها. وهذا ما فعله شبنجلر واستطاع بهذه الطريقة التنبؤ باندلاع الحرب العالمية الأولى.

ويفرق شبنجلر تفرقة مهمة بين الحضارة والمدينة. حيث تملك الحضارة في ثناياها كل قوى التحقق والإبداع المتمثل في منجزات الحضارة من بناء وفن وعلم وفكر... إلخ. وعندما تكون الحضارة قد استنفذت كل قواها الخالقة المبدعة، ولم تعد قادرة على إبداع شيء جديد. فيصح هي أن تفسر التراث الذي خلقته الحضارة المبدعة، وتعيش على استهلاكها شيئًا فشيئًا، كما يبدد الوارث مال أبيه دون أن يضيف إليه جديدًا. وحياة رجل الحضارة كما لاحظ شبنجلر تتجه إلى باطنه، وداخل ذاته، أي إلى أعماقه وقواه الخصبة التي يفيض بها، بينما حياة رجل المدينة تتجه نحو الخارج، أي نحو المكان المحيط به، ووسط الأجسام المادية والحوادث الصادرة عن البيئة. ذلك لأن الرجل الأول يعطي ويمنح ويبذل ما لديه من ثروة وغنى روحي يفيض به على الآخرين، بينما الرجل الثاني يجد نفسه عقيمًا، فقيرًا من كل ثراء ذاتي، وقوة حية تشيع في روحه ويستطيع أن يعيش عليها فيضطر تبعًا لذلك على سد هذا العجز بالالتجاء إلى القوة الخارجية عنه. كما أن رجل الحضارة يشعر في داخل نفسه

بقوة جامحة تدفع به إلى البذل والفيض. بينما رجل المدينة يحس بأن هناك عوائق وسدود تقف دون حرية الخلق والابتكار لديه.

كذلك تختلف أخلاق رجل الحضارة عن أخلاق رجل المدينة، فالأولى أخلاق بطولة، والثانية أخلاق شعبية. لأن الأول ينظر إلى واجبات الحياة بكل ما فيها من مصاعب ومشقة وما سيلقاه من تحمل للآلام، لكنه مع ذلك يقبل الواجب، أما الثاني فينظر إلى الحياة والعالم من وجهة نظر لحاجته اليومية والواقع الملح[١].

مسار التاريخ إذًا عند شبنجلر ليس مسارًا متصلًا بل هو حلقات منفصلة، ورغم أنها متتابعة فهذا لا يعني متصلة بعضها ببعض. وكل حضارة منها لها مراحلها التي تتشابه مع مراحل عمر الإنسان ولكنها جميعًا تتحول إلى مدينة تعيش ربما لمئات السنين بعد انتهاء إبداعاتها لحضارة ولكنها لا تبدع جديدًا حتى تنهار وتذبل.

**٧. توينبي** Arnold Toynbee:

يتميز توينبي عن غيره من فلاسفة التاريخ بدراسته الجيدة للحضارات ككل، حتى أن البعض يعتبره مؤرخ غير عادي فقد عكف على دراسة حضارات العالم بأسره طوال نصف قرن تقريبًا. وتبرز أهمية نظريته في أمرين: الأول أنه يرد الحضارات إلى الأديان، فوراء كل حضارة من الحضارات القائمة اليوم ديانة عالمية، وهو يرى أن العقائد الدينية هي التي تسير مجرى التاريخ. والحضارات الدينية تنتسب بالبنوة إلى حضارات سابقة عليها، فالحضارة الغربية الحديثة وليدة الحضارة الهلينية، والعقيدة العبرانية وليدة المجتمع السرياني، والحضارة الإسلامية حصيلة اندماج المجتمعين العربي الإيراني. الثاني، أن الحضارات تنشأ بفعل التحدي والاستجابة Challenge and Response بمعنى أن الحضارات لا تنشأ في البيئة السهلة حيث يرى البعض أن الحضارات الأولى قد نشأت في وديان الأنهار كما حدث في مصر القديمة، والعراق، والصين، بل تزدهر الحضارة في المناطق الجرداء، فالظروف الصعبة هي التي تستحث الإنسان على التحضر، وتتمثل الظروف الصعبة إما في بيئة طبيعية،

(١) حسين مؤنس، الحضارة، مرجع سابق، صـ٣٤٩: ٣٥٣.

أو ظروف بشرية، فالبيئة القاسية تستحث الإنسان على تطويعها فتثور قوى الإبداع لديه. كما أن العدوان الخارجي يحفز الإنسان على الوقوف ضده، لذلك كانت الحروب ضرورية للحفاظ على الحضارات.

التاريخ عنده إذًا سلسلة من التحدى والاستجابة، كتعاقب الليل والنهار، أو الفصول الأربعة.

لا يقدم تونبي نظرية في مسار تاريخ الإنسانية ولكنه يقدم لنا رؤى في كيفية نشأة الحضارات وانهيارها، فالنشأة تحدث كما ذكرنا سابقًا بشكل روحي متمثل في الدين وأيضًا من تحدى الإنسان للعوائق التى تقابله فتفجر فيه الطاقات الإبداعية التي تدفعه لتأسيس الحضارة. أما الانهيار فيحدث لثلاثة أسباب هى:

١. قصور الطاقة الإبداعية في الأقلية الحاكمة.

٢. عزوف الأغلبية عن محاكاة الأقلية بعد أن فقدت الأخيرة مبررات الاقتداء بها.

٣. فقدان التماسك الاجتماعي سواء بسبب انشقاق الخارجين أو سخط المحكومين، ولذلك فإن الانهيار يحدث من داخل الحضارة وليس من خارجها[١].

من الملاحظ أن توينبي يُعلي من شأن الدين ودوره في صياغة الحضارات، ولكنه مع ذلك لا يغفل دور الإنسان الذي يتحدى الصعاب لينشأ حضارة من العدم. ويحدث الصراع بين الحضارات وأيضًا التعارف عن طريق الحروب والغزوات التي تمثل في الوقت نفسه تحدي للحضارة التي غزاها على المستوى الثقافي، لكن الحروب ضرورة في التاريخ كما رأى ذلك العديد من الفلاسفة وعلى رأسهم توينبي.

---

(١) أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٥، ص ص ١٥٩: ٢٨٠.

## ثالثًا: علاقة مسار التاريخ بالثورة

بهذا الاستعراض السابق لآراء بعض فلاسفة التاريخ لسير حركة التاريخ نستطيع أن نستنتج الآتي:

١. أن البعض قد فسر التاريخ بالدوائر المغلقة التي لا علاقة لإحداها بالآخر.

٢. أما فلاسفة التنوير فقد رأوا أن التاريخ يسير في خط مستقيم نحو التقدم، مثل فولتير.

٣. رأى غير من الفلاسفة أمثال هردر، هيجل، أن التاريخ يسير في خط حلزوني أعد حيث وجد عثرات في التاريخ تؤدي إلى الانهيار ثم الصعود من جديد.

٤. شبه العديد منهم بأن مراحل التاريخ هى مراحل عمر الإنسان من طفولة وشباب ورجولة وكهولة. وحاول بعضهم تسكين الحضارات في هذه المراحل فيما رأى البعض الآخر أن كل حضارة على حدة تمر بالمراحل الأربعة. وتمثل في الوقت ذاته مرحلة من هذه المراحل في تاريخ الإنسانية.

٥. يثبت مسار التاريخ لدى جميع من حاولوا تفسيره إلى أن التاريخ لا يمكن أن يعود إلى الوراء هذا بالرغم من عثرات التاريخ، إلا أن القيام من وقوع تنشأ عنه قوة دافقة للمسيرة قدمًا نحو ما هو أكثر تقدمًا. والسؤال هنا هل المسيرة نحو التقدم أو التطور أو التغير تعتبر بمثابة ثورة؟ بمعنى هل يحدث التقدم من مرحلة إلى أخرى عن طريق طفرة أو مفاجأة.

إذا حاولنا الإجابة على هذا السؤال ملمتخدمين تشبيه التقدم بمراحل عمر الإنسان كما شبهها معظم فلاسفة التاريخ، نجد أن التحول من الطفولة إلى الشباب مثلًا لا يحدث فجأة، بل بالتدريج على متصل من السنوات منذ الميلاد وحتى بلوغ رحلة الشباب، وهكذا من الشباب وحتى بلوغ مرحلة الرجولة... إلخ. أى أن التحول في المسار من مرحلة إلى أخرى يحدث بالتدريج وليس بشكل مفاجيء.

إذن، متى تحدث الثورة في التاريخ؟. إذا كانت لا تحدث في المسار الذي يكون تدريجيًا، فإنها لا تحدث في المنجزات الحضارية التي تقوم بها كل حضارة على حدة وتكون مؤثرة

ليس في تلك الحضارة وحدها ولكنها مؤثرة في سير حركة التاريخ ككل، وحتى تتضح الفكرة نذكر بعض الأمثلة المتصلة بالمنجزات الحضارية على اختلافها.

في شأن الاكتشافات العلمية كانت هناك عدة ثورات أثرت على سير حركة التاريخ، فمنذ اكتشاف الإنسان للنار وظفها في عدة مجالات، فبعد أن كان يستخدم الأدوات الحجرية، استطاع استخدامها في صنع الأدوات المعدنية مما غير نمط حياته حيث استطاع صيد الحيوان ثم استأناسه. وكانت لحظة اكتشافه أن البذرة إذا تركت في الأرض تنمو لتصبح ثمرة من جديد هي لحظة ثورية اكتشف بها الزراعة واستطاع أن ينتج طعامه بعد أن كان يجمع الثمار فحسب.

أن لحظة اكتشاف نيوتن لقانون الجاذبية هي لحظة ثورية في تاريخ العلم، ولحظة اكتشاف جاليليو لمكونات العالم حول الأرض هي لحظة ثورية في تاريخ. ولحظة اكتشاف الدورة الدموية هي لحظة ثورية في تاريخ الطب، والمجال لا يتسع هنا لسرد كل هذه اللحظات الثورية في العلم حتى وصلنا إلى الفيمتوثانية وتداعيتها في كافة المجالات العلمية. وإذا تأملنا مثال آخر هو اللغة، والتي بدأت بالإشارة أو التعبير الجسدى فقط ليكون هناك نوع من التواصل بين البشر، حتى وصلنا إلى تعدد اللغات وفهمنا لبعضنا البعض في كافة أنحاء الأرض، وعن طريق وسائل الاتصال المتعددة التى أوصلت البشر إلى التواصل وتبادل المعلومات عبر الإنترنت، وتأثير ذلك على سلوك البشر في كافة أنحاء الأرض.

إن وصول الإنسان إلى أهمية وضع قانون يحكم العلاقة بين البشر الذين يعيشون في مكان واحد، هي لحظة ثورية في تقنين العلاقات والمعاملات بين البشر، وإذا كان ذلك قد بدأ بقانون صولون فقد تطور بعد ذلك وما زال يتطور وفقًا لمتطلبات العلاقة التي لن تعد محددة بين أفراد يعيشون في مكان واحد، ولكن لتنظيم العلاقات بين الأفراد والبلدان، وأي أطراف يتعاملون مع بعضهم البعض.

وإذا تطرقنا لمثال آخر مهم جدًا وهو الدين، لوجدنا أن الإنسان الأول قد عبد الطبيعة ممثلة فيما لن يكن يعرفه، ويمثل حديث إبراهيم لديه هذا الوضع خير تمثيل.

ثم عرف الإنسان تعدد الآلهة، إلى أن وصل لفكرة الوحدانية وعبد الإله الواحد وتأكد له ذلك بنزول الرسالات السماوية التي أرشدته إلى عبادة إله واحد حيث لا يقبل العقل السليم تعدد الآلهة. لقد كانت كل هذه اللحظات لحظات ثورية في الفكر الديني لدى الإنسان.

إن الثورة أيضًا تحدث في منهج التفكير، فإذا كان الإنسان في بداياته الأولى قد بدأ بمنهج الملاحظة لاكتشاف الطبيعة من حوله وحاول فهم ما يحدث فقد تطور تفكيره عبر ذلك، ليوجد الربط بين السبب والمسبب، أي بين الظاهرة وأسبابها، فالبذرة تنمو بفعل المطر، والمطر يسقط بفعل السحاب... إلخ. من مظاهر الطبيعة من حوله والتي تعلم منها الكثير. ثم انتقل بعد ذلك إلى فرض الفروض ومحاولة اختبارها، ليذهب بمنهجه من الطبيعة إلى المعمل، فمن الملاحظة والاستنتاج، والاستدلال، إلى الاختراع، والإبداع، والتقدم، حيث اختراع وسائل جديدة تؤدي إلى مزيد من الاكتشافات، وهو ما يؤدي بدوره إلى مزيد من الاختراعات.

لقد استطاع الإنسان سبر أغوار الطبيعة، لتفصح له عن مكنوناتها بالعلم، وبذلك استطاع تطويعها، والتغلب عليها، واستغلالها، لتحقق أهدافه، فيتطور، ويتقدم، ولا يكتفي باستغلال الأرض وما عليها، بل أيضًا يغزو الفضاء ويتطلع إلى عالم أوسع، وأرحب. وكل هذا بفضل العقل الذي لا يفتأ يعمل مكتشفًا في كل مرحلة من مراحل تطور الإنسان إمكانياته المتعددة التي تساعده دومًا في إشباع تعطشه الدائم للمعرفة.

ربما تكون معظم المعاجم قد ركزت في تعريفها للثورة على الجانب السياسي، حيث يكون مظهر الثورة في هذا المجال أكثر وضوحًا في فجائيته وفي تغير شكل المجتمع من حال إلى حال آخر، وهذا التغير مهم في حقيقة الأمر، فقد كان لهذه الثورات على مدى تاريخ الإنسان دور كبير في تغير حال البشر مثلًا من العبودية إلى الحرية، ومن الاستبداد إلى التحرر، ومن حكم الفرد إلى الشعب، ومن الديكتاتورية إلى الديمقراطية... إلخ. من تغير نظم الحكم وبالتالي تغير نمط العلاقة السياسية والاجتماعية بين الحاكم والمحكوم.

وختامًا نقول أن الثورات تحدث في كل مجالات النشاط الإنساني، وهي بالتأكيد تؤثر بذلك على سير حركة التاريخ أحيانًا سلبًا وأحيانًا أخرى إيجابًا، ولن يكف الإنسان عن القيام بالثورة طالما احترم عقله، وذاته، وكرامته، ودوره في مسار التاريخ الإنساني.